العصر فقال في ترجمة السلطان سليم خان سلطان الروم ما لفظه: إن تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بإمام ما أجازه كثير من العلماء وأنكروه غاية الإنكار في ذلك العهد، ولهم في ذلك العصر رسالات متعددة بأيدي الناس إلى الآن، وإنّ علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك، وخطَّأوا من قال بجوازه. انتهى.

(٣٦١)

(فَضْلُ اللَّه بن عبد اللَّه بن عبد الرزَّاق بن إبراهيم ابن مَكانِس المجد ابن الفخر المصري القبطي الحنفي المعروف بابن مكانس)

ولد في شعبان سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة ونشأ في عزٍّ ونعمة في كنف أبيه، فتخرّج وتأدّب ومهر ونظم الشِّعر وهو صغير جدّاً، فإنَّ أباه كان صحب البدر البشتكي فانتدبه لتأديبه فخرَّجه في أسرع مدة، فنظم الشعر الفائق وباشر في حياة أبيه توقيع الدست بدمشق. وكان أبوه وزيراً هنالك. ثم قدم القاهرة فلمّا (مات) أبوه ساءت حاله. ثم خدم في ديوان الإنشاء وتنقلت رتبته فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيدية فامتدح المؤيد بقصائد فأحسن القاضي ابن البارزي السفارة له عنده بحيث أثابه ثواباً حسناً. وشعره في الذروة العليا وهو أحد المجيدين من المتأخرين مع قلّة بضاعته في العربية، ولذلك يقع له اللحن نادراً. وقد جمع ديوان أبيه ورتبه. ولأبيه فيه موريا باسمه: [من الطويل]

أرى ولـدي قَـدْ زَادَه الـلَّـه بـهـجـةً ... وكمَّله في الخَلْقِ والخُلقِ مُذْ نَشَا[1]
سَـأشْـكُـر ربّـي حـيـنَ أوتـيـتُ مِـثْـلَـهُ ... وَذلك فَضْـلُ الـلَّـه يُـؤتـيـه مَـنْ يَـشَـا[2]

ومن نظْم صاحب الترجمة مُهنِّئاً لأبيه بعوده من سفر: [من الكامل]

هُـنّـيـتَ يـا أبـتـي بـعَـوْدِكَ سَـالـمـاً ... وَبـقـيـتَ مـا طَـرِدَ الـظَـلامَ نَـهـارُ
مُـلِـئـتْ بُـطـون الـكـتـبِ فـيـكَ مـدايـحـاً ... حـقّـاً لـقـد عَـظُـمـتْ بِـكَ الأسـفـارُ[3]

ومن مقطعاته العذبة: [من الوافر]

بـحـقِّ الـلَّـهِ دَعْ ظُـلـمَ الـمُـعـنَّـى ... وَمـتّـعْـهُ كـمـا يَـهْـوَى بِـأُنْـسِـكْ
وكُـفَّ الـصَّـدَّ يـا مـولايَ عَـمَّـنْ ... بِـيَـوْمِـك رُحْـتَ تَـهْـجُـره وأمْـسِـكْ

ومنها: [من مجزوء الكامل]

قَـالـتْ وَقَـدْ عَـشِـقْـتُـهـمْ ... قَـامـاتَـهُـمْ والأَعـيُـنـا

(١) نَشَا: نَشَأَ: شَبَّ ونما. (٢) يَشَا: يَشاءُ: يُريدُ.
(٣) الأَسْفارُ: الكُتُبُ.

إنْ رُمْتَ تَلقانا فَلِجْ بَيْنَ السُّيوفِ والقَنَا[1]

ومنها: [من مجزوء الرمل]

رَبِّ خُذْ بالعدل قَوْماً أهلَ ظُلمٍ مُتوالي
كَلّفوني بَيْعَ خَيْلي بِرَخيصٍ وَبِغالي

وشعره كثير، وكلّه غُرر، (ومات) بالطاعون في يوم الأحد خامس وعشرين ربيع الآخر سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة.

٣٦٢
(فَضْلُ اللَّه بن غَالي الهَمداني)[2]

الوزير الملقب رَشيد الدولة. كان أبوه عطاراً يهودياً فأَسلم ابنه هذا، واتصل بغازان سلطان التتار المتقدم، فخدمه وتقدم عنده بالطب إلى أن استوزره. وكان يناصح المسلمين ويذبّ عنهم ويسعى في حقن دمائهم وله في تبريز آثار عظيمة من البرّ. وكان شديداً على من يعاديه أو ينتقصه لا يزال يسعى في هلاكه حتى يهلكه. وكان متواضعاً سخياً كثير البذل للعلماء والصلحاء وله تفسير للقرآن فسّره على طريقة الفلاسفة فنسب إلى الإلحاد. وقد احترقت تواليفه بعد قتله. واتفقت له محنة كان فيها هلاكه، وذلك أنه لما مات خربيدا ملك التتار طلبه السلطان جوابان على البريد فقال له: أنت قتلت الخان، فقال معاذ اللَّه أنا كنت رجلاً عطاراً ضعيفاً بين الناس فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفاً في الممالك فكيف أقتله، فأحضروا الطبيب ابن الحران اليهودي طبيب خربيدا فسألوه عن سبب موت خربيدا فقال: أصابته علة فوقع له إسهال بسببها نحو ثلاثمائة مجلس فطلبني بحضور رشيد الدولة وطلب الأطباء فاتفقنا على أن نعطيه أدوية قابضة حابسة، فقال رشيد الدولة هو الآن يحتاج إلى الاستفراغ فسقيناه مسهلاً فوقع له من ذلك نحو سبعين مجلساً فسقطت قوته فمات، وصدقه رشيد الدولة على ذلك. فقال جوابان لرشيد الدولة فأنت قتلته، وأمر بقتله، فقتل، وفصلوا أعضاءه، وبعثوا إلى كل بلد بعضو. ويقال: إنه وُجد له بعد قتله ألف ألف مثقال. وكان قتله في سنة ٧١٦[3] ستّ عشرة وسبعمائة وعمره فوق ثمانين سنة. قال الذهبي: كان له رأي ودهاء ومروءة، وكان الشيخ تاج الدين الأفضل يذمُّه ويرميه بدين الأوائل.

---

(١) لِجْ: فعل أمر من: وَلَجَ المكان. دَخَله.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ١٥٢؛ الدرر الكامنة: ٣/ ٢٣٢؛ شذرات الذهب: ٦/ ٤٤؛ معجم المؤلفين: ٨/ ٧٥؛ كشف الظنون: ٤٤٧؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٥٢٣.

(٣) في معجم المؤلفين: سنة ٧١٨هـ.